

من صحابة الرسول

المجموعة الثانية

سَلَمَانُ الْفَارِسِيُّ

فانيس محمد عزت

سلمان الفارسي

طلب مدرّسُ التَّربِيةِ الدِّينِيَّةِ من تلاميذه ، أن يقوموا بعمل بحث عن « غزوة الخندق » ويقدموه إليه بعد أسبوعين .
تكاسل التلاميذ ، ولم ينشط منهم أحدٌ لإعدادِ البحثِ المطلوب ، ما عدا أحمدَ فقد أخذ الموضوع مأخذَ الجدِّ ، واهتمَّ بإعدادِ بحثٍ وافٍ عن الموضوع ، فذهب إلى مكتبة المدرسة وأطلع على كثيرٍ من المراجع ، حتى اكتملَ له بحثٌ وافٍ شاملٌ عن « غزوة الخندق » .

وفي الموعدِ المحدّدِ لتقديمِ البحوث ، ظهر أن أحدًا من التلاميذ لم يقدِّمَ إعدادَ البحثِ المطلوب ، اللهمَّ إلا أحمد .
فغضبَ المدرّسُ عليهم لتكاسلهم وتواكلهم ، وقال لهم :
يجب ألاَّ تعتمدوا في استِذكارِ دروسِكم على أسلوبِ الحفظِ والتلقين ، فإنَّ ما تحفظونه اليومَ عن ظهرِ قلب ، ستنسونه بعد وقتٍ قليل . أمّا الموادُّ التي تتعبون في البحثِ عنها ، وتجمعونها بأنفسِكم ، فلن تنسوها أبدًا مهما طالَ عليها الزَّمن .

(٤)

ثم قال لهم : ستكون جائزة التفوق هذا الشهر من نصيب أحمد . هيا يا أحمد قم واعرض على زملائك ما أعددتَه عن غزوة الخندق .

قال أحمد : شكراً لك يا أستاذ ، وأرجو أن تسمح لي أن يكون عرضي لأحداث غزوة الخندق ، من خلال قصة حياة أحد الصحابة ، وهو سلمان الفارسي . فقد أعجبت في أثناء إعدادي للبحث المطلوب ، بقصة حياة واحد من صحابة رسول الله المقربين ، وهو سلمان الفارسي ، فدفعني إعجابي به لأن أتبع سيرته منذ أن كان غلاماً صغيراً وحتى وفاته .

قال الأستاذ محمد : أهنئك يا بُني ، وأحيى فيك ذكاءك ونشاطك .

وبدأ أحمد يحكي قصة حياة سلمان الفارسي فقال : نشأ سلمان في « أصبهان » ببلاد فارس ، وكان أبوه رئيس القرية وأغنى رجل فيها ، وكان سلمان أحب أبناءه إليه ، فكان من خوفه عليه يحبسُه في البيت كما تحبس الفتيات .

وكان سلمان - مثل كل أهل فارس - يعبد النار ، وقد
أخلص في عبادة النار حتى أوكلوا إليه أمرها ليتعهدها
بنفسه حتى لا تنطفئ أبدا . وكان لأبيه ضيعة كبيرة تدر
عليه أموالا كثيرة ، وكان يعتنى بها ويُسرفُ عليها بنفسه .

وحدث ذات يوم أن انشغل أبوه عن الذهاب إلى
ضيعة ، فأرسل سلمان ليرعى شئونها بدلا منه . وفي
طريقه إليها مرَّ سلمان بكنيسة للنصارى ، وسمع أصوات
صلواتهم تنبعث منها فأعجبته ، ووجد أن النصارى أفضل
من عبادة النار التي يعبدُها أبوه وأهله . وعلم أن أصل
دين النصارى في بلاد الشام ، ونسى سلمان نفسه
ومكث في الكنيسة حتى غربت الشمس .

وقلق عليه أبوه لتأخره فبعث من يبحث عنه . وعندما
حضر سلمان حدث أباه عن النصارى ، وقال إنها في
رأيه أفضل من عبادة النار ، وأنه يفكر في اعتناقها .
وخشى أبوه أن يترك ابنه دين آباءه ويعتنق دينا آخر ،
فحبسه في الدار وقيد رجله بقيد من حديد .

وعزَّ على سلمان أن يحول أبوه بينه وبين الدين الجديد الذي أحبه وفكر أن يعتنقه ، فبعث إلى النصارى يقول لهم : إذا قدم عليكم ركبٌ مُتَّجِهٌ إلى بلاد الشام فأعلموني . فعندما وصلت إلى أصبهان قافلةٌ مُتوجَّهةٌ إلى بلاد الشام ، تحايل سلمان على قيوده فكسرها ، وفرَّ هارباً ليلحق بالشام يبحثُ عمن يُعلِّمه مبادئ النصرانية ، وتعاليم الدين المسيحي .

هنا سأل أحد التلاميذ المدرِّس : أترك سلمان أباه وقومه وحياة الترف التي كان يحياها ، وهرب من كل ذلك ليبحث عن تعلُّم دين جديد ؟

ردَّ عليه أحمدُ بقوله : نعم ، وأطلق على سلمان لقبه الذي عُرف به : « الباحث عن الحقيقة » ، فقد أمضى جلَّ سنين عُمره وهو يبحثُ عن الدين الحقَّ الذي تترأخُ إليه نفسه ، وعمن يُعلِّمه إياه .

وفى بلاد الشام تعرَّفَ سلمان إلى راعي الكنيسة ، وأقام عنده ليخدمه ويتعلَّم منه . ولكن راعي الكنيسة هذا

كان فاسداً ، يُبطن خِلافَ ما يُظهر ، فكان يَحْتُ النَّاسَ على دَفْعِ الصَّدَقَاتِ وَيَجْمَعُهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ يَكْنِزُ مَا يَجْمَعُهُ لِنَفْسِهِ ، وَلَا يُنْفِقُ مِنْهُ شَيْئاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

وقد كرهَ سَلْمَانُ ذَلِكَ الرَّاهِبَ وَأَبْغَضَهُ ، حَتَّى إِنَّهُ عِنْدَمَا مَاتَ وَأَرَادَ النَّاسُ أَنْ يَدْفِنُوهُ ، أَخْبَرَهُمْ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ ، وَأَرْشَدَهُمْ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يُخْفِي فِيهِ أَمْوَالَهُ . فَوَجَدُوا عِنْدَهُ سَبْعَ قُدُورٍ مُمْلَوَّةً بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ . فَعِنْدَمَا رَأَوْا ذَلِكَ الْكَنْزَ قَالُوا : وَاللَّهِ لَا نَدْفِنُهُ . فَصَلَبُوهُ وَرَجَمُوهُ بِالْحِجَارَةِ .

وخلَفَ ذَلِكَ الرَّاهِبَ الْفَاسِدُ فِي مَنْصِبِهِ ، رَاهِبٌ آخَرُ كَانَ أَحْسَنَ مِثَالٍ لِلصَّلَاحِ وَالْوَرَعِ وَالزُّهْدِ ، فَأَحْبَبَهُ سَلْمَانُ وَتَبِعَهُ وَتَعَلَّمَ مِنْهُ الْكَثِيرَ . وَحِينَ أَشْرَفَ الرَّاهِبُ الزَّاهِدُ عَلَى الْمَوْتِ ، أَرْشَدَ سَلْمَانَ إِلَى رَاهِبٍ صَالِحٍ فِي الْمَوْصِلِ ، الَّذِي حِينَ وَافَتْهُ الْمَنِيَّةُ أَرْشَدَ سَلْمَانَ بِدَوْرِهِ إِلَى رَاهِبٍ صَالِحٍ فِي نَصِيبِينَ . وَهَكَذَا تَنَقَّلَ سَلْمَانُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، يَسْعَى وَرَاءَ الْعِلْمِ وَالذِّينِ .

إِلَى أَنْ كَانَ بِعَمُورِيَّةَ ، فَقَالَ لَهُ رَاهِبُهَا وَقَدْ حَضَرَهُ

الموت : واللّه يا بُنَيَّ لا أعلمُ أنّ أحداً من الناسِ بقى على
 ظهر الأرض مُستمسِكاً بما كُنّا عليه من صدق الإيمان .
 ولكنّى أعلمُ أنّه قد أطلَّ زمانٌ يخرج فيه بأرض العرب نبيٌّ
 يُبعثُ بدين إبراهيم الخليل ، ثمّ يُهاجر من بلده إلى أرضِ
 ذاتِ حرّتين - والحرّةُ أرض ذات حجارة سود نخرة أى
 مُفتّنة - وله علامات لا تخفى ، فهو يأكل الهدية ، ولا يأكل
 الصدقة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، فإذا رأيته عرفته .

ومنذ تلك اللحظة عرّف سلمان أنّ وجهته فى الحياة
 أصبحت - دون غيرها - بلاد العرب .

وعندما وفدت إلى غُمُوريّة قافلةٌ بها بعضُ تجّار العرب
 من قبيلة كلب ، قال لهم سلمان « احملونى معكم إلى
 أرض العرب » ، ودفع لهم مقابل أن يحملوه معهم بعضُ
 بقراتٍ وغنيماتٍ كانت له . ولكنهم سرعان ما غدروا به
 عند وادى القرى ، وباعوه رقيقاً لأحد اليهود ، الذى باعه
 بدوره إلى ابن عمّ له من بنى قريظة .

وما أن رأى سلمان يشرب بعينه ، حتّى أيقن أنّها

الأرض الموعودة التي سيهاجر إليها النبي المرتقب .
ومكث فيها ينتظر قدومه إليها على أحر من الجمر .

قال الأستاذ محمد : رائع يا ولدى ! استمر في
قصتك ، فقد درست شخصية سلمان وعرضتها عرضاً
بسيطاً مشوقاً ، بارك الله فيك !

وراح أحمد يكمل قصته فقال : وكان أول عهد سلمان
بالرسول - صلى الله عليه وسلم - حين كان يعمل على
رأس نخلة لسيده ، وكان سيده يجلس تحت النخلة ، فأقبل
ابن عم لسيده وقال : قاتل الله بنى قبيلة - الأوس -
والخزرج - فبأنهم مجتمعون الآن بقباء على رجل قدم
إليهم اليوم من مكة ، يزعم أنه نبي .

وصلت هذه الكلمات إلى أذن سلمان ، فدارت به
الأرض الفضاء حتى كاد يسقط فوق سيده ، ونزل
مُسرعاً يستفسر عن الأمر ، فما أغضب سيده عليه ، وكان
نصيبه صفة قوية على وجهه ، ليعود إلى عمله .

وفي مساء اليوم نفسه ، ذهب سلمان إلى قباء وأخذ

معه بعض التمر ، وقال للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
 بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب غُرباء ذوو
 حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحقَّ به
 من غيركم .

فأكلوا جميعا ما عدا الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
 فإنه لم يأكل منه . قال سلمان في نفسه : هذه واحدة !
 وعاد سلمان ذلك مرة أخرى ، فذهب إلى يشرب
 وحمل معه بعض التمر ، وقال : إني رأيتك لا تأكل
 الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها .

فأكل منها الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأمر
 أصحابه فأكلوا .

فقال سلمان في نفسه : وهذه الثانية !
 وبقي خاتم النبوة بين كتفيه ، الذي ما أن رآه سلمان
 حتى أكبَّ على الرسول يُقبِّله ، وأعلن إسلامه بين يديه .
 وقد حال الرق بين سلمان وبين شهود غزوتَي بدر وأُحد ،
 فلم يشهدهُما . فقال له الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

ذات يوم : كاتبٌ سيِّدك حتى يُعتَقَكَ .

فكاتبَ سلمانَ سيِّده على ثلاثمائة نخلة ، يُحييها له
بالفَقِير — الحُفْرَةُ تُغرس فيها فَسِيلَةُ النَّخْلِ — وأربعينَ
أوقية . وأمر النبيُّ — صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم — أصحابه أن
يُعاونوا أخاهم ، حتى أكرمَه اللهُ وأعتقه سيِّده وعاش
مُسْلِمًا حُرًّا ، وشهد مع الرُّسُول — صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم —
غزوة الخندق ، والمشاهدَ كُلِّها .

هنا وقفَ أحدُ التَّلَامِيذِ وقال : إنَّ سلمانَ والَّلهِ أَهْلٌ
لِلإِسْلَامِ وَلِصُحْبَةِ الرُّسُول — صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم — فقد
بذلَ من الجَهدِ والتَّعبِ الكثير ، وعانى من الرِّقِّ والذُّلِّ إلى
أن وصلَ إلى برِّ الأمان ، واستطاع أن يُعلنَ إسلامَه
ويستعيدَ حُرِّيَّته .

واستمرَّ أحمدُ فقال : ونصلُ في قِصَّتِنَا إلى غزوة
الخندق ، ونعلمُ جميعًا أنَّ بعضَ زُعماءِ يهودِ بني النُّضَير ،
قاموا لحربِ المُسْلِمِينَ ودَعَّوْا قُرَيْشًا للخروج ، وجمَعُوا
قِبَائِلَ غَطَفَانَ وبني مُرَّةَ وبني فِزَارَةَ ، واتَّفَقُوا على أن

يخرجوا لحرب مُحَمَّد ، وتواعدوا أن يلتقوا جميعاً في
المكان والزمان المحدَّثين .

وشاورَ الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - أصحابه في
الأمر - فلا قبلَ لهم وهم قلة - بملاقاة هذا العدو بأعداده
الكبيرة وغدده الكثيرة .

وهنا جاء الدور على سلمان الفارسيّ ليدليّ برأيه ،
فالمدينة محوطة بالصخور من كلِّ جانب ، إلا أن هناك
فجوة يستطيع جيش الأعداء أن ينفذ منها .

فأشار سلمان على الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم -
أن يحفر المسلمون خندقاً يغطّي المنطقة المكشوفة ، وكانت
فكرة حفر خندق ، فكرة غريبة على العرب لم يألوها من
قبل . واشتركوا جميعاً في حفر الخندق ومعهم الرسول -
صَلَّى الله عليه وسلّم - يحملُ الحجارة بيديه الكريمتين ،
وفيما هم يعملون إذ ظهرت لسلمان صخرة عصية لا
تجدى معها المعاول ولا الضربات ، واستأذن سلمان
الرسول ليغيّر مجرى الخندق ، ليتفادى الصخرة .

وحملَ الرُّسُولَ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المِعْوَلَ بِيَدَيْهِ ،
وَسَمَّى اللهُ ثُمَّ هَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ بِالمِعْوَلِ ، فَظَهَرَ وَهَجٌ
أَضَاءَ الْمَدِينَةَ كُلَّهَا ، وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :
اللَّهُ أَكْبَرُ ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارَسَ . ثُمَّ هَوَى بِالمِعْوَلِ لِلْمَرَّةِ
الثَّانِيَةِ وَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الرُّومِ . ثُمَّ هَوَى
بِالمِعْوَلِ لِلْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ فَتَحَطَّمَتِ الصَّخْرَةُ ، وَأَنْبَأَهُمْ - صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ يُبْصِرُ الْآنَ قُصُورَ سُورِيَّةَ وَصَنْعَاءَ
وَمَا سِوَاهُمَا مِنْ مَدَائِنِ الْأَرْضِ ، الَّتِي سَوْفَ تُرْفَرُ عَلَيْهَا
رَايَةُ الْإِسْلَامِ . وَهَكَذَا نَبَأَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيُّهُ الْكَرِيمُ ،
وَبَشَّرَهُ بِفَتْحِ بِلَادِ فَارَسَ وَالرُّومِ وَسَائِرِ الْبِلَادِ الْعَرَبِيَّةِ .
وَوَصَلَتْ جُيُوشُ الْأَعْدَاءِ الْجَرَارَةُ تَحْتَ إِمْرَةِ أَبِي سُفْيَانَ ،
فَفُوجِنُوا بِوُجُودِ الحَنْدِاقِ الَّذِي لَمْ يَأْلَفُوا خُدْعَةً مِثْلَهُ مِنْ قَبْلِ .
وَحَاصَرَتْ جُيُوشُهُمُ الْمَدِينَةَ . وَلَكِنْ جَاءَ النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ
اللَّهِ ، فَهَبَّتْ رِيَاحٌ عَاصِفَةٌ شَدِيدَةٌ ، قَلَعَتْ الحِيَامَ وَقَلَبَتْ
القُدُورَ ، وَغَلَبَتْ الجُيُوشَ الْمُحَاصِرَةَ عَلَى أَمْرِهَا ،
فَانْسَحَبَتْ مُضْطَرَّةً بَغِيرِ قِتَالٍ .

قال الأستاذ مُحَمَّد : لقد عرضت علينا يا أحمد أحداث الغزوة ، وشرحتها لنا شرحا وافيا ، فأخبرنا الآن عما فعله سلمان بعد غزوة الخندق .

قال أحمد : استمرَّ سلمان طوال حياة الرسول — صلى الله عليه وسلم — وفي أثناء خلافة أبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب ، مُجاهدا في سبيل الله ، عابدا زاهدا في الدنيا ، وكان يُصرُّ على أن يأكل من عمل يده . وعلى الرغم من أن عطاءه كان وفيرا بين ثلاثة آلاف إلى ستة آلاف في العام ، إلا أنه كان يُوزَّعها جميعا على الفقراء ، ويرفض أن ينال منها درهمًا واحدًا ، ويقول : أشتري خوصا بدرهم أعمله وأبيعه بثلاثة دراهم . فأشتري منها بدرهم خوصا ، وأنفق درهمًا على عيالي ، وأتصدقُ بالدرهم الثالث ، ولو أن عمر بن الخطاب نهاني عن ذلك ما انتهيت .

وكان سلمان مثالاً للزهد والتقشف ، وقد حدث نتيجة لذلك موقفٌ طريفٌ أيام كان أميراً على المدائن ، وقد

استمرَّ على زُهْدِهِ ولم يُغَيِّرْ شَيْئاً مِنْ حَالِهِ فَمَا زَالَ يَعْمَلُ
 بِالْخُوصِ وَيَلْبَسُ أَبْسَطَ الْمَلَابِسِ ، فَقَدْ رَأَى رَجُلٌ قَادِمٌ مِنْ
 الشَّامِ - غَرِيبٌ عَنِ الْبَلَدِ - وَكَانَ يَحْمِلُ حِمْلًا ثَقِيلًا ،
 فَأَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ سَلْمَانُ الْحِمْلَ عَنْهُ لِقَاءَ بَعْضِ دَرَاهِمٍ . وَفِي
 الطَّرِيقِ رَاحَ سَلْمَانُ يَسْلُمُ عَلَى النَّاسِ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ
 السَّلَامَ : وَعَلَى الْأَمِيرِ السَّلَامُ . وَهَكَذَا حَتَّى شَكَّ الرَّجُلُ
 الْغَرِيبَ فِي أَمْرِ الْحِمَالِ الَّذِي اسْتَأْجَرَهُ . وَعِنْدَمَا عَلِمَ
 الرَّجُلُ أَنَّهُ هُوَ الْأَمِيرُ - أَمِيرُ فَارِسَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيِّ -
 اعْتَذَرَ لَهُ وَهَمَّ أَنْ يَحْمِلَ الْحِمْلَ عَنْهُ ، وَلَكِنْ سَلْمَانُ أَصْرَّ
 أَنْ يُكْمِلَ السَّيْرَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ .

قال أحدُ التَّلَامِيذِ : يَا لِلزُّهْدِ وَالْوَرَعِ ! إِنَّ سَلْمَانَ وَهُوَ
 أَمِيرٌ لَا يَخْتَلِفُ عَنْ أَىِّ فَقِيرٍ مِنْ فُقَرَاءِ الْمَدِينَةِ ، حَتَّى إِنَّ
 الْغَرِيبَ لَمْ يُمَيِّزْهُ عَنْ غَيْرِهِ .

قال أحمدُ : أَتَعْلَمُونَ كَيْفَ كَانَ مَنْزِلُهُ ؟ كَانَ عِبَارَةً عَنْ
 بَنَاءٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا مِنَ الْحَرِّ وَيَحْتَمِي فِيهَا مِنَ الْبَرْدِ ، إِذَا
 وَقَفَ أَصَابَتْ رَأْسَهُ ، وَإِذَا اضْطَجَعَ أَصَابَتْ رِجْلَيْهِ .

وعلى الرغم من تَقَشُّفِهِ وزُهْدِهِ ، فإنه حين وافته المنيّة في خلافة عثمان بن عفان كان حزيناً يبكي . وعندما سأله رفاقه عما يبكيه ردّ عليهم بقوله : إنما أبكي لا جزعاً من الموت ، ولا حرصاً على الدنيا ، ولكن الرسول - صلى الله عليه وسلم - عهد إلينا فقال : (لتكن بُلغَةُ أحدكم مثل زاد الراكب) لم يكن متاع سلمان يُساوى عشرين درهماً . وأمر سلمان زوجته وهو يستقبل الموت ، أن تُعطر حُجْرَتَهُ بزُجاجةٍ عِطْرٍ يحتفظ بها لتلك اللحظة المهيبة ، ثم أمرها بالانصراف لتُصعد روحه للقاء ربّه زكيّة عطرة ، بما كان له من جهدٍ وبذلٍ وعطاءٍ للإسلام .

قال الأستاذ مُحَمَّد : أحسنت يا أحمد : إنك تستحقُّ عن جدارة جائزة التّفوّق ، فشكراً لك على مجهودك ، وشكراً لأسلوبك السّهل المشوّق .

وقال التّلاميذ : نحنُ آسفون يا أستاذنا لتكاسلنا ، ونرجو منك أن تُحدّد لنا موضوعاً آخر للبحث ، وسوف تجدنا إن شاء الله في مثل نشاط أحمد وهِمَّتِهِ .